الّا ان هذه الطريقة في البحث لم تكن كافية لايفاء الموضوع حقه. ولذلك، كان لا بدّ من اجراء بحوث ميـدانية في عدد من التجمّعات السكانية العربية. وتشكّل نتائج هذه البحوث اللبنة الأساسية في الدراسة هذه.

بالطبع، لم يكن باستطاعة الباحث اجراء مسح شامل عن نشاطات، وخدمات، الهستدروت في القطاع العربي، ضمن الامكانات المتوفّرة. ولكن هذه الدراسة تشكّل أساساً هامّاً لدراسة أشمل، وأوسع، في مجال التمييز ضد العرب في الهستدروت. فالهدف الذي وضعناه نصب أعيننا هو الاشارة الى أنواع التمييز، الظاهر منها والمقنّع، ومحاولة تقدير مدى التمييز اللاحق بأعضاء الهستدروت العرب بواسطة مقارنة معاملة الهستدروت لهم بالمعاملة التي يحظى بها الأعضاء اليهود.

الهستدروت والعرب قبل قيام اسرائيل

اختلف دور الهستدروت عن أي حركة عمّالية أخرى، منذ نشوئها في العام ١٩٢٠، في انها أخذت على عاتقها مسؤولية استيطان اليهود المهاجرين الى فلسطين، والصراع من أجل اقامة الدولة، وانشاء البنية التحتية التي تطلّبتها تلك المهمّات. من أجل هذه الاهداف، لم تكتف الحركة العمّالية اليهودية بصبغ الصراع في سوق العمل بالطابع «القومي»، وانما كانت، بنفسها، رأس الحربة في هذا الصراع.

لقـد حسم النقـاش بين العناصر الاشتراكية، التي آمنت بمبدأ وحدة العمّال في الصراع مع الرأسمـالية، وبين العناصر «القومية»، لصالح الثانية، منذ البداية. فعندما تأسّست الهستدروت كنقابة عامّة للعمّال اليهود، أقرّت أهدافها الرئيسة: «تأهيل العمّال اليهود، وتوفير حاجاتهم في مجال الثقافة والاستيطان»[١]. وقد نوقش اقتراح انضمام العمّال العرب الى الهستدروت في المؤتمر الأول، ولكنه رُفض، رفضاً قاطعاً. امّا في المؤتمر الثاني (١٩٢٣)، الذي أُقرّ فيه دستورها، فقد تقرّر اقامة «عـلاقات وديّة» مع العمّال العرب. وفي المؤتمر الثالث (١٩٢٧)، أُقرّت مبادىء «التعاون» ووضع الاساس لنشاط هستدروتي بين العمّال العرب، في اطار خاص ومنفصل. وتمّ تطبيق هذا المبدأ باقامة «اتحاد عمّال فلسطين»، كتنظيم منفرد، باعتباره يشكّل دائرة عربية في الهستدروت. ثمّ أُقيمت في المدن المختلطة (مثل حيفا) وفي فروع اقتصادية معيّنة اتحادات مهنية منفصلة (مثل اتحاد عمّال سكة الحديد).

كانت هذه القـرارات تندرج ضمن سياسة حماية العمل العبري ومنع تأثير العمّال العرب في مستـوى أجـر العامل اليهودي الذي تبنّته الهستدروت[٢]. ولا بدّ من التعريف، هنا، بأيديولوجية «العمل العبري»، ودور الهستدروت في تحقيقها.

هنـاك رأي شائـع بأن أول من حمـل لواء «العمل العبري» كان المهاجرون في موجة الهجرة الثانية[٣] الذين رفعوا شعار «احتلال العمل»، والذي كان يعني منع العرب من العمل في المستوطنات الزراعية اليهودية[٤]. وكان اختيار العمل الزراعي بالذات لتوسيع السيطرة الصهيونية على الارض، وليس فقط من أجل احتلال أماكن العمل التي شغلها العمّال العرب.

لقـد برز دور الهستدروت بالذات في سنوات الأزمة الاقتصادية، في أواخر سنوات العشرين، عندما أخذت بنقل اليهود من المدن الى المستوطنات الزراعية. وكان ردّ فعل قيادة الهستدروت على نداءات اليسار الصهيوني من أجل نضال عمّالي مشترك بأن وجّهت الصراع ضد العمّال العرب. وفي سنوات الثلاثين، قامت قيادة الهستدروت، وعلى رأسها قيادة حزب مباي، بتشجيع أعمال العنف